Conference Proceedings: Enhancing the Role of Islamic, Social, and Human Studies in Building Society, Volume 23, July 2026.

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

دينامية التفاعل بين العنوان والمتن جمالية التسمية في رواية "الحلوة" لوارد بدر السالم

أ.م.د. ندى حسن محمد

جامعة كرميان- كلية اللغات والعلوم الإنسانية

The Dynamics of Interaction Between Title and Body: The Aesthetics of Naming in the Novel *Al-Hilwa* by Warid Badr Al-Salem.

Asst. Prof. Dr. Nada Hassan Mohammed
University of Garmian – College of Languages and Human Sciences
Email: nada.hassan@garmian.edu.krd

الملخص:

إن العنوان هو الذي يوجه قراءة النص ويغتني بدوره بمعانٍ جديدة بمقدار ما تتوضح دلالات الرواية، فقد يكون المفتاح الذي به تُحل ألغاز الأحداث وإيقاع نسقها الدرامي وتوترها السردي، لذا يهدف هذا البحث لدراسة دينامية التفاعل بين العنوان والمتن في رواية "الحلوة" لوارد بدر السالم من خلال الوقوف عند جمالية التسمية باعتبارها عتبة النص التي تسهم في خلق المعنى وتوجيه القراءة، ينطلق البحث من تصور سيميائي يرى أن العنوان بنية لغوية مكثفة تتجاوز مهمتها التسموية إلى أبعاد دلالية وتأويلية عديدة.تحدث البحث في مبحثه الأول عن العنوان من حيث مستوياته اللغوية والرمزية والمفارقية موضحاً فيها كيف تتبني التسمية في الرواية على كلمة بسيطة من الظاهر أو الشكل الخارجي، لكنها تنفتح على دلالات عميقة من الداخل من خلال تفاعل العنوان مع المتن السردي، أما المبحث الثاني فقد تضمن دينامية العلاقة بين العنوان والنص من خلال فقرتين منها: أفق التلقي وتوجيه القراءة، التكامل الدلالي بين العنوان والمتن. وأخيراً ذيل البحث بخاتمة، وجملة من النتائج.

الكلمات المفتاحية: العنوان، المتن، الحلوة، وارد بدر السالم.

Abstract

The title guides the reading of the text and, in turn, becomes enriched with new meanings as the novel's connotations unfold; it can serve as the key to unlocking the mysteries of events, the rhythm of the dramatic structure, and the narrative tension. Therefore, this research aims to examine the dynamic interaction between the title and the body of the novel *Al-Hilwa* by Warid Badr Al-Salem, focusing on the aesthetics of naming as a textual threshold that contributes to meaning creation and reading guidance. The study adopts a semiotic perspective, viewing the title as a condensed linguistic structure whose function extends beyond mere labeling to encompass various semantic and interpretive dimensions.The first section of the research discusses the title in terms of its linguistic, symbolic, and paradoxical levels, illustrating how the novel's naming—while seemingly based on a simple word or external form—opens up to profound internal meanings through the interaction between the title and the narrative body. The second section addresses the dynamics of the relationship between the title and the text, covering two aspects: the horizon of reception and reading guidance, and the semantic complementarity between the title and the body. Finally, the research concludes with a summary and a set of findings.**Keywords: Title, Body (Text), *Al-Hilwa*, Warid Badr Al-Salem.**

التمهيد

مفهوم العنوان في الدراسات السيميائية

إن أول ما تقع عليه عين القارئ، وهو يتفحص الكتب والمؤلفات هو العنوان باعتباره أول مفتاح قد يتأول به محتواه هذه القصة أو تلك الرواية، ولذلك فاختيار العنوان يُعد من أولى اهتمامات المؤلف ففيه يشد انتباه القارئ ويجذبه، ويروج لبضاعته، فهو مكون أساسي من مكونات الكتابة الإبداعية ويقوم بدور هام في التعريف بالنص والمساعدة على توجيه القارئ إلى مغاليقه، ويُعد العنوان الإشارة الجوهرية، والعنصر المهم من

عناصر النص الموازي حتى أصبح يستقل بعلم خاص هو علم العنونة أو العنوانيات[١]، ويُمثّل العالم "ليوهوك" المؤسس الأول لهذا العلم حيث ألّف كتاباً في هذا العلم وأسماه "سمة العنونة" ويقول فيه بأن العنوان هو: "مجموعة العلامات اللسانية من كلمات وجمل وحتى نصوص قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه وتشير لمحتواه الكلي ولتجذب جمهوره المستهدف"[2]وذهب "لطيف زيتوني" إلى تعريف العنوان بقوله: "هو الاسم الذي يميز الكتاب بين الكتب، كما يتميز الإنسان باسمه بين الناس، والعنوان يكون للكتاب، وقد يكون للفصول داخل الكتاب، ولكن عنونه الفصول ليست مطردة في الروايات، وهي تكاد تغيب في المسرحيات وفي دواوين الشعر، يتميز العنوان اليوم بالإيجاز، وقد يلجأ الكاتب إلى عنوان فرعي للتوضيح"[٣]فالعنوان للكتاب كالاسم للشيء به يعرف، وبفضله يتداول وينتشر، ويشار به إليه، ويدل به عليه، ويحمل وسم كتابه وفي الوقت، نفسه يسمه العنوان بعلامة جعلت له لكي تدل عليه وتبينهُ[٤]أما "جاك فونتاني" فيرى أن العنوان مع علامات أخرى هو من الأقسام النادرة في النص الذي يظهر على غلاف الكتاب، وهو نص موازٍ له[٥]، لا بل هو شكل من أشكال التعالي النصي الذي يبين مسار القراءة التي يمكن لها أن "تبدأ من الرواية الأولى للكتاب"[٦]ويرى "جون كوهين": "إن النص إذا كان بأفكاره المبعثرة مسنداً فإن العنوان مسند إليه، كما يؤكد على أن العنوان من سمات النص النثري مهما كان نوعه؛ لأن النثر قائم على الوصل والقواعد المنطقية بينما الشعر يمكن أن يستغني عن العنوان"[٧]وعلى هذا الأساس عُني النقاد السيميائيون بالعنوان عناية خاصة كونه يشكّل أهمية كبيرة كعتبة تضيء النص وتكشف عن دواخله ويقال لها عتبات نسبةً إلى عتبة البيت الذي يُعد المحور الذي يقوم عليه النص، وكونهُ قاعدة تواصلية تمكن النص من الانفتاح على أبعاد دلالية تغني تركيبه[٨]إذ اهتم السيميائيون بتلك العتبات النصية في غضون سعيهم لتحليل النصوص وما تحملهُ من إشارات وعلامات ورموز لها مكانتها ضمن أنظمة التواصل، ولعلامات العنوان وظيفة مهمة في قراءة النص، ومن ثم تأويل دلالة المسكوت عنها، فالتعامل مع العنوان وفق المنهج السيميائي يكون باعتباره أول شفرة يلقاها القارئ وقت يلج القارئ، وهو ما يكسبه خصوصيته، إذ هو "وجه النص مصغراً على صفحة الغلاف"[٩]لذا فالعنوان هو أول مراحل التعارف بين النص والمتلقي ويتم ذلك من خلال شفرة لغوية يفترض فيها أن تختزل الدلالة العامة الشاملة للنص، كما تختزل قصدية مرسلته في دلاليته، حملاً مقصوداً واعياً من المرسل ونابعاً من ذاته إبلاغ المتلقي بجماع المرسلة على مستوى الجنس والموضوع، وحتى على مستوى موقف المرسلة من خطابها الذي تتأسس داخله[١٠].

-جمالية التسمية وأثرها في النص الأدبي.

ترتبط جمالية التسمية في النص الأدبي على مدى إمكانية الكاتب في انتقاء عنوان يحمل كثافة دلالية ورمزية، بحيث تكون قادرة على إثارة تساؤلات عدّة تحرك فكر القارئ وخياله، ومن هنا تبدو قيمة العنوان الجمالية كونه يخلق نوعاً من التوتر الدلالي بين ما يقوله بشكل ظاهر وواضح، وبين ما هو مضمر في بناءه الداخلي العميق.ففي الدراسات السردية الحديثة لم يعد العنوان مجرد اسماً يوضح بشكل مباشر للنص فحسب، لا بل أصبح بنية دلالية مفتوحة تتفاعل وتنسجم مع المتن السردي في شبكة من العلاقات التأويلية، ومن هنا فالكاتب يستخدم العنوان بطريقة رمزية أو مفارقة ليخلق بدوره مسافة بين معنيين أحدهما كما قلنا سابقاً ظاهر للعيان والآخر مخفي لدى الجميع.وفي هذ السياق تتبين جمالية التسمية بشكل جلي في رواية "الحلوة" لوارد بدر السالم من خلال اختياره لكلمة بسيطة ومكشوفة في شكلها الخارجي، لكنها مثقلة بدلالات عديدة من الداخل ربما تكون دلالات اجتماعية أو نفسية عميقة، فالتسمية هنا تحولت إلى رمز يختزل تجربة إنسانية معقدة تتوضح بصورة تدريجية عبر أحداث الرواية.

المبحث الأول العنوان بين اللغة، والرمزية والمفارقة في الحلوة

- العنوان في مستواه اللغوي "المعجمي، التركيبي، الدلالي".

يُعد المستوى اللغوي للعنوان نقطة البدء والانطلاق في تحليل معناه، إذ يبنى المعنى الأول للنص من خلال البنية اللفظية التي يتشكل منها العنوان، غير أن هذه البنية لا تقرأ قراءة مباشرة، وإنما تتفكك من خلال مستويات متداخلة مع بعضها البعض فمنها المعجمي، والتركيبي، والدلالي، وعلى أساسها يحدث التكامل، ومن ثم إنتاج المعنى.فعلى المستوى المعجمي سنقف على مفهوم مفردة العنوان "الحلوة" لنعرف معناها المعجمي، ففي "لسان العرب" فإن لفظة "الحلوة" مأخوذة من "أنثى حُلْوَة والجمع حُلوَاتُ ولا تكسر ويقال: حَلَتِ الجارية بعيني وفي عيني تَحلُو حلاوةً..."[١١]، فلفظة الحلوة هنا تعني الجمال والحلاوة.هذا ما يخص الجانب المعجمي، لكن هذه الدلالة في النص الأدبي سواء أكان شعراً أم نثراً لا يبقى ثابتاً بل يحمل دلالات متعددة ومتنوعة ويؤكد على ذلك "د. محمد مفتاح" عندما يتحدث عن النص الأدبي ويخرق بعض قواعده وأسسه فيقول بأن النص هو الذي يخلق ويبني السياق الخاص به[١٢].ومن الأمثلة التي تدلنا على الجانب المعجمي في رواية "الحلوة" عندما تتحدث البطلة "ريحانة" بقولها: "أنا الحلوة .. هكذا يسمونني ..."[١٣]، فالظاهر من النص أن لفظة "الحلوة" هنا محملة بالجمال، واللطافة، والقبول، أي أن هذه الدلالة تخلّق لدى القارئ تصوراً جميلاً، وإيجابياً للوهلة الأولى عن البطلة، وهو معنى سطحي في هذه الحالة أي انه لم يتفاعل مع السياق السردي الذي نبحث عنه

وعن انسجامهُ معه.أما فيما يخص المستوى أو الجانب التركيبي فيركز على الآلية التي تتشكل بها الكلمة داخل صيغة نحوية محددة سواء أكانت تعريفية أو تنكرية، مفردة أم جمع ... إلخ كون هذه البنية تشارك بصورة كبيرة في تكوين الدلالة وتوجيه القارئ.فالكاتب هنا التزم في روايته "الحلوة" بالتعريف ويتمثل ذلك بوجود "الـ التعريفية"، وهذا يجعل من اللفظة أو الكلمة معرفة لا مجهولة، كما أن هذه "الـ التعريفية" وكما يقول النحاة لها ثلاثة أنواع هي: "العهدية، الجنسية، الاستغراقية"[١٤]، و"الـ التعريفية" الموجودة في روايتنا من النمط الأول أي العهدية بمعنى امرأة معروفة داخل الرواية وهي "ريحانة"، كما أن لفظة "الحلوة" مفردة وليست جمعاً وهذا يدل على أنها شيء واحد، وعليه تتحول اللفظة من وصفٍ لغوي بسيط إلى بناء محدد ومعرف ينتج هوية محددة هي هوية أنثى فالتركيب هنا هو الذي أعطى للفظة قيمتها الكبيرة وليس المعجم وحده.كما أن كلمة "الحلوة" هي صفة مشتقة من «حلو» لكنها في هذا المكان جاءت محذوفة الموصوف أي أصلها "الفتاة الحلوة" أو الأنثى الحلوة، إذ تحوّلت من صفة إلى اسم قائم بذاته وهذا ما يسمى بالتركيب، فالكاتب بدلاً من أن يقول: المرأة الحلوة قال الحلوة وهذا إن دلّ على شيء فيدل على التكثيف اللغوي أو ما يسمى بالاقتصاد اللغوي ويعني إمكانية أي لغة في تكثيف بعض التركيبات- غير الكودية في معاني معادلة، وذلك باستعمال تعريف كلمة أو تورية لتخصير مفهومها[١٥].هذا فضلاً عن الجانب المعجمي والتركيبي نجد الجانب الدلالي الذي يبدأ بالعنوان حين يقوم بإنتاج المعنى الحقيقي من خلال التفاعل مع المتن الروائي ويتضح ذلك في النص السردي الآتي: "تلجمني الحلوة التي صارت جرحي الشخصي ونكبتي التي أفقدتني نضارتي وشهيتي للحياة وأثارت بي شعور الخوف والغربة والقلق ..."[١٦].فالمعنى الأول الذي يحمله العنوان مرتبط بالبراءة، والجمال، والأنوثة، في حين نجد القارئ يكتشف تدريجياً أن هذه الحلاوة ليست سوى غطاء أو قناع يضمر خلفه واقعاً قاسياً ومؤلماً، وبالتالي تتحول الدلالة هنا من صورة إيجابية إلى سلبية لا تبعث الأمان والاستقرار، وإنما الألم النفسي والصدمة القوية، فالفعل "يلجمني" يحمل معنى القيد والسيطرة وكأن الحلوة هنا صارت وسيلة قوية تقيّد الشخصية وتمنعها من التحرر، والعيش بسلام وعليه فالمستوى الدلالي هنا يقوم على أساس تصوير حالة الانتقال من البراءة إلى الانكسار، ومن الرغبة في الحياة إلى الشعور بالاختناق النفسي.

- العنوان في مستواه الرمزي:

أهتم النقاد المحدثون بالرمز في الخطاب الأدبي كونه يعطي النص قدرة على تجاوز المألوف والمتعارف عليه ويؤكد على ذلك "صلاح فضل" عند حديثه بأنّ اللغة الأدبية لا تقوم على إعطاء المعلومات بصورة مباشرة، وإنما تعتمد على الإشارات، والإنزياحات، والإيحاءات وهذا ما يجعل الكلمة قادرة على حمل أكثر من دلالة في آنٍ واحد[١٧].وفي ضوء ذلك فإن عنوان "الحلوة" لا يمكن الوقوف عنده بوصفه وصفاً يعبر عن الجمال فقط، لأن الكلمة داخل النص الروائي تكتسب دلالة رمزية تتجاوز دلالتها المعجمية فالقارئ في البدء ينصدم بالجمال والرقة، ولكن عندما يتعمق بقراءة الرواية يجد أن هناك سلسلة من الأمور الغامضة خلف كلمة الحلوة، بمعنى آخر هناك طبقات أخرى من المعاني تختفي خلفها وبالتالي تتحول إلى صورة اجتماعية مجبرة الشخصية عليها وكأن المجتمع لا ينظر إلى المرأة بمظهرها الخارجي، أو شكلها الجمالي فهي بهذا المعنى نلاحظ التسمية تحمل عبئاً أكبر من الشخصية نفسها، إذ لا تشير إلى امرأة بعينها، بل تركز على حالة انسانية اجتماعية تحدث بشكلٍ دائم ومُتكرر في المجتمع.إذ يتحول العنوان إلى فجوة بين الصورة الخارجية للشخصية والصورة الداخلية لها وتتعمق الرمزية في الرواية من خلال الترابط بين العنوان والمتن السردي، فكلما تسلسلت الأحداث وتقدمت نجد القارئ يبين أن الحلوة لم تكن تنعم بالاستقرار كما يوحى إليه العنوان، بل شخصية تحمل داخلها قلقاً وخوفاً كبيراً من حياتها وطبيعة معيشتها، فالكاتب بهذه الفجوة يوضح لنا مدى القلق الظاهر والباطن، بين الخارج والداخل حيث يصبح الجمال الخارجي المقنع مرآة حقيقية للألم النفسي الذي تعيشه البطلة.

ويتبين ذلك في المقطع السردي الآتي: "١- أسموني الحلوة بسبب رائحتي الغريبة.

٢- من دون أن أشعر أنني حلوة فعلاً سوى هذه الصفة الغريبة التي امتلكها.

٣- لست مهتمة للأمر كثيراً بعدما صارت هذه الصفة قيداً وجرحاً ونكبة شخصية.

٤- ما زلتُ أحملها موجوعة إلى أقصى حد..."[١٨].

يكشف النص السردي هذا عن أن العنوان لا يقوم بدور وصفي مباشر، إنما يتحول إلى إشارة أو علامة تتجاوز المعنى المعروف وهو الجمال فالبطلة هنا لا ترى نفسها حلوة وجميلة بالمعنى الحقيقي بل تتعامل مع هذه التسمية على أنها صفة أو أمر مفروض عليها وألصق بها من دون موافقتها وقناعتها، ومن ثم فالتسمية لم تأتِ من شعور داخلي بالهوية بل املى المجتمع عليها ذلك الوضع وهذا ما منح النص بعدهُ الرمزي، كما أن ربط الاسم بالرائحة جاء لا ليوضح الشعور بالرائحة في معناها الحسي التام فحسب إنما ليدل على العزلة والانفرادية بهذه الرائحة عن غيرها من الشخصيات الأخرى في الرواية، والذي يؤكد على الرمزية هنا تحول دلالة الاسم من الايجاب إلى السلب، أي من الجمال إلى الخراب والمعاناة

النفسية التي تعيشها الشخصية وهذا بدوره يخلق في العنوان مفارقة بين باطنها وما تحمله الكلمة من دلالة جميلة ظاهرياً وعليه فالكاتب يحاول أن يعكس من خلال عنوانه هذا الهوية المفروضة على بطلة روايته، فضلاً عن التوتر الذي عاشته من الجانب النفسي والواقع الاجتماعي الظاهر للعيان.

- العنوان في مستوى المفارقة :

تتجلى المفارقة في إشكالٍ عديدة، ترتبط بالوجود، والإنسان، والمجتمع وتظهر في جوانب التناقض والتضاد بين عناصر كان ينبغي أن تكون متوافقة فيظهر لنا الموقف على عكس حقيقته، حيث يمتزج العبث بالجدّ، والصدق مع الكذب، وهي تتصل في كثير من أشكالها بالتهكم والسخرية، وتؤكد على كونها يجب أن تجعل مستقبلها يؤمن بالاختلاف والتناقض حتى وإن استنكر ذلك في بداية الأمر فالمفارقة تقوم على استنكار الاختلاف والتباين بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل، مقابل أن تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق في حادثة الاختلاف[١٩]. لذا أكد "ميويك" على صعوبة معرفة المفارقة وشبهها بمحاولة لملمة الضباب مؤكداً ذلك: "لو اكتشف امرؤ في نفسه دافعاً لإيقاع امرئ آخر في اضطراب فكري ولغوي، فلن يجد خيراً من أن يطلب إليه أن يدوّن في الحال تعريفاً للمفارقة"[٢٠]، فأمثلة المفارقة على اختلاف أنواعها، لا تشبه بعضها بشكل كبير، بل أن هناك من المواقف والبنى النصية ما يعتبره البعض مفارقاً، ويعتبره آخرون مما لا يقع في باب المفارقة.لذا فالمفارقة لا تنتج من التناقض المباشر فحسب، بل من التوتر بين المعنى المتوقع، والمعنى الذي ينتهي إليه القارئ، بعد التوغل في النص، وانطلاقاً من ذلك فإن عنوان (الحلوة) يقوم على مفارقة واضحة فالقارئ عندما يواجه كلمة "الحلوة" لأول مرة يتوقع عالماً مليئاً بالجمال، والقبول الجماعي غير أن الرواية سرعان ما تكشف أن هذه التسمية لا تعبر عن حالة من السعادة والرضا بل بأزمة نفسية وشعور بالاغتراب، ومن هنا تبرز وتتولد المفارقة بين المعنى الظاهر للعنوان والمعنى الذي ينتجه النص الروائي.ومن المقاطع السردية التي تؤكّد على المفارقة: "يسمونك الحلوة وينفخون في روحك الصغيرة: حلاوة الرائحة النادرة حتّى يمتلئ جسدك بها ويسترسل شعرك كأنه الحرير الناعم حتّى ما بعد خصرك فيختصر شمشاركِ الخشبي الأبيض النادر قصتكِ من دون أن يعرف أحد سر تلك الإشراقات الفريدة والموج الناعم والعطر المخفي الذي يزيد من أنوثتك وحلاوتكِ أنتِ الحلوة الماشية بقدميها في هذا البياض الجريح وإليه، فهو ما تبقى من خلطة الحياة في عارها السري"[٢١].تتشكل المفارقة في هذا النص من خلال الصراع القائم بين الجمال والغرابة، فالشخصية تسمى «الحلوة» وهذه التسمية فيها قبول، لكن ما يثير الانتباه الرائحة الغريبة التي ترتبط أو تلحق بالحلوة، وهذه الرائحة هي التي تحمل معنىً وإيحاءً مخالفاً للمعنى التقليدي للجمال ولذلك فالعنوان هنا لا يقوم على معنى واحد واضح ومستقر بل يحمل دلالة مزدوجة تجمع بين الجاذبية والاختلاف في آنٍ واحد وبالتالي تنشأ المفارقة بين الدال اللغوي القائم على الجمال والمرجع السردي القائم على الغرابة.

المبحث الثاني دينامية التفاعل بين العنوان والمتن في لله الحلوة لله.

- أفق التلقي وتوجيه القراءة.

يعد مفهوم أفق التلقي من المفاهيم الأساسية في نظرية التلقي التي أسس لها "هانس روبرت ياويس"، إذ يرى أن القارئ يدخل إلى النص وهو يحمل معه مجموعة من التوقعات المسبقة التي تتشكل من ثقافته ورؤيته القرائية التي تنسب إليه في المقام الأول بوصفه مستقبلاً لهذا العمل أو ذاك ومعرفته بالأجناس الأدبية، وقد أطلق "ياوس" على هذه التوقعات تسمية أفق التوقع[٢٢].فالعنوان يمثل أهم العتبات النصية كما قلنا سابقاً التي تسبق المتن وتوجه القراءة، كونه أول عنصر يواجه القارئ، ويؤثر في طريقة استجابته للنص الأدبي فهو لا يقوم بمهمة تعريفية فقط وإنما يشارك في بناء تصور أولي عن النص ويوجهه نحو التأويل منذ اللحظة الأولى.ومن ذلك فإن العلاقة بين العنوان والمتن تقوم على أساس عملية تفاعلية، فالعنوان ينتج توقعات وأفكار معينة لدى القارئ في حين المتن يعمل على التركيز والتأكيد على هذه التوقعات ومن ثم تعديلها أو حتى رفضها أو نقضها، ومن هنا تتأسس دينامية التفاعل بين الطرفين فالقارئ يبقى في حالة بحث مستمرة عن العلاقة التي تربط العنوان بالأحداث والشخصيات والرؤية السردية.بناءً على ذلك نرى أن عنوان الرواية يؤسس أفقاً انتظارياً خاصاً لدى القارئ، فكلمة الحلوة في مستواها المعجمي تحيل كما أشرنا سابقاً إلى الجمال والجاذبية لذا يتوقع، القارئ قبل البدء في القراءة أن يكون النص مرتبطاً بشخصية نسوية تتمتع بالجمال، وأن أحداث الرواية تدور في فضاء رومانسي واجتماعي مرتبط بمعنى الحلاوة وهذا ما أطلق عليه "ياوس" بـ أفق التوقع ولكن ما يلفت النظر وعند التقدم في قراءة الرواية يبدأ هذا الأفق بالتطور والتوسع لأن المتن السردي لا يقدم الحلوة بوصفها دلالة سطحية مرتبطة بالجمال كما في ذهن المتلقي بل يكشف جوانب أخرى وهنا يظهر ما يسمّى بكسر أفق التوقع أي أنك تتوقع وتتوهم بشيء قبل البدء بقراءة الرواية ثم تتصدم بشيء آخر وهذا ما حدث بالفعل في "الحلوة"، ويتضح ذلك في المقطع السردي الآتي: "الحلوة... تسمية مخدرة تبعث على الغرور لفتاة بمثل عمري كانت وحيدة أبيها ومدللته؛ وتملأ رأسها الصغير بخيالات طفولية وردية لا حصر لها وصور ملونة شتى تتراكم كالأزهار الناعمة، غير أنّ الحياة طوّقتها فجأة من

كل جانب مثل كلاليب القصابين وقشرت روحها النامية كبرعم أخضر كما يقشر رأس البصل، وأنضجتها على نيران ملتهبة لم تهدأ ولا لحظة، بل وكادت تحرقها وتقضي عليها... "[٢٣].إذ يمثل هذا النص نموذجاً صريحاً لأفق التلقي وتوجيه القراءة، إذ يضع القارئ منذ البداية أمام عنوان يوحي بالنعومة والأنوثة، إلا أن المتن السردي يبدأ بتقويض هذه التوقعات تدريجياً وإعادة تشكيلها، فالساردة هنا تصف نفسها بأنها كانت وحيدة أهلها والمدللة ورأسها ممتلئ بالأحلام الطفولية ولوحات وردية متكدسة كالأزهار الناعمة، وهذا الوصف ينسجم في بدايته مع المعنى الإيجابي الذي كانت الرواية تدعيه من خلال العنوان لكن السرد فيما بعد نقل القارئ إلى عالم آخر مختلف عندما تحولت حياة البطلة إلى مأساة حقيقية حاصرتها من كل جانب فتبددت أحلامها وتحطمت الصورة النموذجية التي رسمها العنوان في فكر القارئ أو المتلقي.ومن هنا ظهرت وظيفة توجيه القراءة، إذ لا يترك النص القارئ أسير الدلالة الظاهرة للعنوان وإنما يدفعه إلى إعادة النظر فيه، ومن ثم تأويله من جديد، فالمتشبهات التي يستخدمها الكاتب عبر وصف حياة البطلة: "كلاليب القصابين، روحها النامية بالبرعم الأخضر الذي يقشر كما يقشر رأس البصل"، تكشف حجم العنف النفسي الذي تعرضت له الشخصية، كما أن هذه الصور البسيطة لا تؤدي دوراً جمالياً فحسب بل تعمل على توجيه القارئ نحو فهم العنوان باعتباره عنواناً مفارقاً يخفي خلف بساطته معاناة حقيقية، ومأساة عميقة.

- التكامل الدلالي بين العنوان والمتن

يُعد التكامل الدلالي بين العنوان والمتن من أهم الروابط التي تحكم عملية البناء السردي في الرواية الحديثة؛ فلم يعد العنوان مجرد أداة للتعريف بالعمل الأدبي، بل صار عنصراً نصيّاً مهماً يساهم في إنتاج الدلالة، حيث أكدت الدراسات السيميائية أن العنوان يمثل إشارة لغوية ترتبط بالمتن بروابط كثيرة بحيث تجعل منه جزءاً من النظام الدلالي للنص الأدبي.ومن هنا يغدو العنوان إشارة مختزلة ذات بعد إشاري سيميائي، وهو بما هو إشارة سيميائية يؤسس لفضاء نصي واسع قد يفجر ما كان هاجعاً أو صامتاً في وعي المتلقي أو لا وعيه من حمولة ثقافية أو فكرية يبدأ المتلقي معها فوراً عملية التأويل منذ اللحظة الأولى للقراءة[٢٤].وعلى ذلك تتأسس العلاقة التكاملية بين العنوان والمتن، إذ يقدم العنوان الدلالة في صورة مكثفة مختزلة، بينما يقوم المتن بتفصيل وتفكيك هذه الدلالة وتوسيعها عبر الأحداث والمسارات السردية، الأمر الذي يجعل المعنى الثاني نتاجاً للتفاعل بين الجانبين العنوان والمتن لا ليشطر أحدهما عن الآخر.ويبدو ذلك واضحاً في النص السردي الآتي عندما يسرد لنا الكاتب وضع البطلة "ريحانه"، وطبيعة حياتها ومعاناتها:

"١- تشمّ الرائحة المنسابة وراء ظهرها،
٢- بعدما لوّثْ شعرها مطوّقه وجهها بحريره الناعم
٣- لتتأكد من فتنة الرائحة الغريبة التي تلاحقها
٤- فتمتلئ روحها بها،
٥- وتتغمر برائحة قرنفل قروية لم تشمّها من قبل
٦- أو رائحة نهر طافح بالزنابق وأزهار الماء...
١٠- وربما اختلط فيها العطر الباريسي للخال طارق،
١١- فتخطف تلك الرائحة لتتعب ذاكرتها وتقلق فجرها الجديد...
١٥- وتزيل الستارة الداكنة... روني نائم لكنه يحرسني...
١٧- وتستنشق الهواء البارد في ربيع يريد أن يأتي بصعوبة.
١٨- فيهمس داخلها بحزن... لستُ سعيدة... لم أكن اعرف جسدي من قبل
١٩- تردد ريحانه الأخرى التي تستيقظ معها في الإشراقات الأولى
٢٠- لكنها تخفي السرّ فوراً وتطردها... "[٢٥].

يكشف النص عن بناءٍ جمالي قائم على الحواس ولاسيما حاسة الشم، إذ تتكون صورة الشخصية من خلال شبكة من الروائح والعناصر الطبيعية المرتبطة بالقرنفل والزنابق وزهر الماء والهواء الربيعي والرقة وهي الدلالات نفسها التي يستدعيها عنوان (الحلوة) في مستواه الأول غير أن المتن لا يكتفي بإنتاج المعنى الأول فحسب بل يوسع دائرة المعنى ويمنحه جوانب أخرى فالبطلة هنا لا تعيش حالة انسجام تام مع ذاتها بل تبدو مشدودة إلى قلق داخلي يتجسد في حديثها "لستُ سعيدة"، "لم أكن اعرف جسدي من قبل"، فالنص في هذا السياق يشهد تنقلاً واضحاً من الخارج إلى الداخل بالنسبة لوضع البطلة.ومن ثم فإن التكامل الدلالي يتحقق عبر العلاقة بين الدلالة الضيقة التي يقدمها العنوان، والدلالة الموسعة التي

يقدمها المتن، "فالحلوة" ليست مجرد أنثى جميلة أو صاحبة حضور آسر بل ذات انسانية تعيش حالة من الاكتشاف الداخلي والصراع النفسي ومن ثم البحث عن هويتها وذاتها الخاصة، وبهذا يصبح الجمال في الرواية ذا قيمة مركبة تتداخل فيها الأبعاد الجسدية والنفسية والروحية.كما تشارك الصور الحسية المكثفة في تعميق دلالة العنوان، فالرائحة، والربيع، والزنابق، والقرنفل لا تؤدي وظيفة وصفية فحسب وإنما رموز وإشارات للانجذاب الأنثوي، والحياة المتجددة وعبر هذه الإشارات يكتسب العنوان حضوره داخل المتن، فلا يبقى مجرد تسمية خارجية بل يغدو محوراً دلالياً تتجمع حوله أوصاف البطلة وتحولاتها وتجاربها.ومن الأمثلة الأخرى التي تدلنا على التكامل الدلالي بين العنوان والمتن في المقطع الروائي الآتي: "أنا بنت من دموع ونايات ساكتة وألم فظيع يستشري في روحي كالسرطان، وليس هناك بنت مثلي تكابد هذه الآلام وحيدة ومعزولة لا يرافقها إلا كلب ونايات ووظيفة عادية فضيلتها أن تخرجني من غرفة الدموع والشجن إلى فضاء المطر والمفخخات أيضاً"[٢٦].يجسد هذا النص السردي عالماً داخلياً محملاً بالمعاناة والوحدة والاغتراب النفسي، كما أن البطلة تقدم نفسها بوصفها شخصية تعاني من عزلة قاسية، وتواجه ألماً متجذراً في أعماقها، وهذا ما يظهر بصورة واضحة من خلال التشبيه المكثف في قولها: "ألم فظيع يستشري في روحي كالسرطان"، إذ تتحول هذه المعاناة النفسية إلى حالة مرضية توحي بالانتشار والسيطرة على الذات. والذي يقوي هذه الدلالة الألفاظ التي تنتمي إلى المجال الدلالي للحزن والانكسار، والألفاظ هي: "الآلام"، "وحيدة"، "معزولة"، "غرفة الدموع"، "الشجن"، كل ذلك يعكس صورة شخصية بعيدة كل البعد عن مظاهر السعادة والاستقرار وتعيش صراعاً دائمياً مع واقعها المر.وعند ربط هذا النص بالعنوان تتجلى الرابطة التكاملية بين العنوان والمتن، فالعنوان كما ذكرنا له دلالة خاصة والمتن يعيد توجيه هذه الدلالة ويمنحها آفاقاً أخرى، وبذلك لا يكتفي المتن بتأكيد دلالة العنوان بل يعمل على إثرائها وتغير طريقها.كما أن عبارة "تخرجني من غرفة الدموع، والشجن إلى فضاء المطر والمفخخات" تبين التناقض الواضح الذي تعيشه البطلة بين رغبتها في الحياة والانفتاح على العالم تارةً أولى ومواجهة واقعها المؤلم المليء بالمخاطر تارةً أخرى.

الخاتمة

بعد البحث والتقصي في رواية الحلوة توصل البحث إلى جملة نتائج منها:

١-العنوان هو أول عنصر يواجه القارئ، ويعد مفتاحاً للدخول إلى النص وفهمه.

٢-يؤدي العنوان وظيفة جذب انتباه القارئ وإثارة فضوله نحو القراءة.

٣-يسهم العنوان في بناء أفق توقعات القارئ قبل الشروع بالقراءات.

٤-المعنى المعجمي وحده لا يكفي لفهم العنوان لأن دلالته تتسع داخل السياق الروائي ويكتسب معاني متعددة.

٥-في رواية "الحلوة" تصف البطلة نفسها بقولها: "أنا الحلوة" مما يجعل العنوان مرتبطاً بشخصيتها وهويتها السردية.

٦-يتضح أن عنوان الحلوة لم يكن اختياراً اعتباطياً لدى الكاتب، بل شكل بنية دلالية فاعلة أسهمت في توجيه القارئ، نحو فهم أبعاد النص فقد انتقل العنوان من دلالته اللغوية المباشرة إلى فضاءات رمزية وتأويلية أوسع مما جعله عنصراً أساسياً في بناء المعنى الروائي.

٧-يتحقق التكامل الدلالي عندما يمنح المتن للعنوان أبعاداً نفسية وروحية أعمق من معناه الظاهري.

٨-العنوان والمتن يتعاونان في انتاج المعنى النهائي للرواية فلا يمكن فهم أحدهما بمعزل عن الآخر.

٩-العنوان يمثل عتبة نصية أولى تكوّن لدى القارئ توقعات مسبقة حول النص، وكلمة (الحلوة) توحي في البداية بالجمال والأنوثة والحياة السعيدة، ولكن أثناء القراءة يتعرض القارئ إلى كسر أفق التوقع؛ إذ يكشف أن البطلة تعيش معاناة وألماً عميقين.

١٠- إن عنوان الحلوة يتجاوز معناه الظاهري المرتبط بالجمال والأنوثة ليكتسب أبعاداً رمزية ومفارقية أعمق داخل الرواية فعلى المستوى الرمزي لا تشير كلمة الحلوة إلى صفة جمالية فحسب، بل تصبح علامة على هوية مفروضة اجتماعياً على البطلة، وتعكس ما تعانيه من عزلة وألم نفسي وصراع داخلي أما على مستوى المفارقة، فإن العنوان يخلق فجوة بين ما يتوقعه القارئ من معاني السعادة والجمال وبين الواقع القاسي الذي تعيشه الشخصية، إذ تتحول الحلاوة الظاهرة إلى رمز للمعاناة والاغتراب.

هوامش البحث

(١) ينظر: الخطاب الموازي للقصيدة، نبيل منصور، دار توبقال، المغرب، ط١، ٢٠٠٨م: ٣٥.

(2) المصدر نفسه: ٣٥.

(٣) معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، لبنان، د.ط، ٢٠٠٠م: ١٢٥.

(٤) ينظر: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، د. محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، ١٩٩٨م: ١٥.

(٥) ينظر: علامات في الإبداع الجزائري، عبد الحميد هيمنه، مديرية الثقافة ولجنة الحفلات، سطيف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٠م: ٦٤.

(٦) ينظر: الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط١، ١٩٨٥م: ٢٦٣.

(٧) السيميوطيقا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع٥٣، يناير، ١٩٩٧م: ٩٧.

(٨) ينظر: عتبات النص (البنية والدلالة)، عبد الفتاح الحجمري، الدار البيضاء، منشورات الرابطة، المغرب، ط٨، ١٩٩٦م: ١٦.

(٩)عتبات النص الأدبي (مقاربة سيميائية)، بخوله بن الدين، مجلة سمات، مج١، ع١ مايو، ٢٠١٣م: ١٦.

(١٠) ينظر: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي: ٢١.

(١١) لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ج٣، ١٩٩٩م: ٣٩.

(١٢) ينظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م: ٦٨.

(١٣) الحلوة، وارد بدر السالم، دار سطور، بغداد، ط١، ٢٠١٧م: ١١.

(١٤) شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠٠٤م: ٦٥.

(١٥) ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٥م: ١٨٧.

(١٦) الحلوة: ٩٢.

(١٧) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، ١٩٩٠م: ١٢٠، ١٢٦.

(١٨) الحلوة: ٤٣.

(١٩) ينظر: بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد، مكتبة دار العلوم، القاهرة، د.ط، ١٩٧٩م: ١٣٥.

(٢٠) المفارقة وصفاتها، دي بي. ميويك، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م: ١٨.

(٢١) الحلوة: ٥٠.

(٢٢) ينظر: نظرية التلقي بين ياوس وإيزر، د. عبد الناصر حسن محمد، دار النهضة العربية، الجزائر، د. ط، ٢٠٠٢م: ٢٢.

(٢٣) الحلوة: ١٢.

(٢٤) ينظر: سيمياء العنوان، بسام موسى طقوس، مكتبة الإسكندرية، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠١م: ٣٦.

(٢٥) الحلوة: ٥٦.

(٢٦) الحلوة: ١٨٤.

ثبت المصادر والمراجع

١- بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد، مكتبة دار العلوم، القاهرة، د. ط، ١٩٧٩م.

٢- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، د. ط، ١٩٩٠م.

٣- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.

٤- الحلوة، وارد بدر السالم (الرواية)، دار سطور، بغداد، ط١، ٢٠١٧م.

٥- الخطاب الموازي للقصيدة، نبيل منصور، دار توبقال، المغرب، ط١، ٢٠٠٨م.

٦- الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط١، ١٩٨٥م.

٧- سيمياء العنوان، بسام موسى طقوس، مكتبة الإسكندرية، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠١م.

٨- السيميوطيقا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع٥٣، يناير، ١٩٩٧م.

٩- شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٤، ٢٠٠٤م.

١٠- عتبات النص الأدبي (مقاربة سيميائية)، بخولة بن الدين، مجلة سمات، مج١، ع١ مايو، ٢٠١٣م.

١١- عتبات النص (البنية والدلالة)، عبد الفتاح الحجمري، الدار البيضاء، منشورات الرابطة، المغرب، ط١، ١٩٩٦م.

١٢- علامات في الإبداع الجزائري، عبد الحميد هيمنه، مديرية الثقافة ولجنة الحفلات، سطيف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٠م.

١٣- لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت، ١٩٩٩م.

١٤- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
١٥- معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، لبنان، د. ط، ٢٠٠٠م.
١٦- المفارقة وصفاتها، دي. بي. ميويك، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
١٧- نظرية التلقي بين ياوس وإيزر، د. عبد الناصر حسن محمد، دار النهضة العربية، الجزائر، د. ط، ٢٠٠٢م.